التضليل الإعلامي على الطريقة الإسرائيلية (*)

ترجمة رشيد أبو ثور

في شهر فبراير 1998 أسس الكولونيل إيغال كارمون ، العضو السابق في مصالح الاستخبارات الإسرائيلية ، معهد البحوث في إعلام الشرق الأوسط (ميمري Memri) [Middle East Media Research Institute] . يوجد مقره في واشنطن ويخص بترجمة ما يصدر عن وسائل الإعلام العربية والإيرانية على الخصوص ، إلى اللغات الأوروبية . يشير موقعه على الإنترنيت أنه " ينشئ جسراً بين الغرب والشرق الأدنى من خلال ترجمة الإعلام الصادر بالعربية والعبرية والفارسية ، وتحليلات جديدة للتوجهات السياسية والإيديولوجية والاجتماعية والفكرية والثقافية والدينية للمنطقة [1] " .

فهدفه إذن هو " تقديم معلومات للحوار حول السياسة الأمريكية في الشرق الأدنى . إنه منظمة مستقلة ومحايدة ولا تستهدف الربح . لها مكاتب في برلين ولندن والقدس . وتقدم ترجمات بالإنجليزية والألمانية والإسبانية والفرنسية والعبرية والإيطالية والروسية والتركية " . وترسل هذه الخدمات مجاناً وبطريقة منتظمة ومكثفة إلى وسائل الإعلام والمعاهد والمسؤولين السياسيين الغربيين وخاصة منهم أعضاء الكونغرس الأمريكي .

إضافة إلى هذا تضع (ميمري Memri TV Monitor Project) أهم القنوات التلفزيونية العربية الإيرانية تحت المراقبة ؛ حيث يقوم المعهد لحظة بلحظة بوضع الترجمة المكتوبة لمقتطفات مختارة بعناية من برامج هذه القنوات ، وتوزيعها مجاناً على القنوات الغربية .

(*) عن صحيفة لوموند ديبلوماتيك الفرنسية ، شهر سبتمبر 2005 ،
Le Mode diplomatique, septembre 2005

وتتمثل كل هذه العملية في انتقاء النصوص والمقاطع التي سيترجمها المعهد ، بحيث يعمل على تقديم تيارات فكرية جد معزولة وهامشية على أنها تمثل الخط الغالب في الإعلام العربي . وهكذا سيتصور القارئ بغير اللغة العربية الذي يقتصر على هذه الترجمات ، أن الإعلام العربي واقع تحت سيطرة مجموعة من الكتّاب المتعصبين المعادين للغرب وللأمريكيين وللسامية بصفة أشد ؛ وهم في صراع مع قلة قليلة من الصحافيين الأبطال الدين يصفهم المعهد (ميمري Memri) بـــ"اللبراليين التقدميين " .

ولهذا وصف مراراً ، كتاب عرب ، وحتى أوروبيين في بعض الأحيان ، معهد ميمري Memri بأنه سلاح للترويج ، في خدمة حكومة تل أبيب والليكود (المحافظين) وجماعات الضغط التابعة لهم . والحقيقة أنه عند إنشاء المعهد ، كان ثلاثة من العناصر الستة المكونين لفريقه ، أعضاء سابقين في المخابرات الإسرائيلية [2] . ومنذ إنشائه نجح المعهد في عدة عمليات .

فهو الذي أطلق سنة 2001 حملة مغرضة ، لا تقوم على أي أساس [3] ، ضد الكتب المدرسية الفلسطينية لإيهام الناس بأنها تأجج معاداة السامية . وفي سنة 2004 تمكن ، بمساندة من موقع Proche –Orient– info على الخصوص ، (والذي أوقف نشاطه ، مؤقتاً على الأقل في شهر يوليو الأخير) من استغلال " انزلاقات " لتلفزيون المنار التابع لحزب الله [4] للحصول على منع بثه بفرنسا ؛ مما أثار احتجاج جمعية " مراسلين بلا حدود " . وشارك المعهد بقوة في الحملة التي أدت إلى إغلاق مركز الشيخ زايد بالإمارات العربية المتحدة [5] .

وعلى العموم ، يخدم معهد ميمري Memri الاستراتيجية الإسرائيلية العاملة على إدانة العلاقات بين العرب والغرب [6] . عند مشاركته في برنامج بقناة الجزيرة ، رد الكولونيل كارمون على متهميه ، بأن هدف معهد ميمري علمي محض ، يتمثل في نقل قراءة الإعلام العربي لأحداث الشرق الأدنى ، إلى الغرب [7] .

يجب إبداء التحفظ اللازم من هذا التصريح : إذا كان محور الصراع العربي الإسرائيلي هو السيطرة على أرض فلسطين ، فلا يمكن فصل هذا الصراع عن

المعركة الرمزية التي يخوضها كل طرف بغية التأثير على الرأي العام وإثبات صحة قراءته للأحداث . فموازين القوى لا تخضع إلا بشكل جزئي لمنطق محلي ، ويتضح أن المساندة الخارجية حاسمة ، لا سيما بالنسبة للجانب الإسرائيلي ؛ خصوصاً وأن صورة إسرائيل العالمية ، قد تشوهت بشكل كبير ، منذ حرب لبنان إلى الانتفاضة الأولى (1987–1993) . وفي محاولة منه لاسترجاع ما ضاع ، يعمل المعهد على تشويه صورة العرب والمسلمين لدى الغربيين ، بتصويرهم غاية في الحقد والتعصب .

ثم إن تطور الفضائيات العربية قد أدى إلى تحرير الآراء العامة ، وأفقد زعماء الشرق الأدنى قسطاً كبيراً من تحكمهم في وسائل الإعلام . وهذا ما يفسر بشكل كبير لماذا أنشئ معهد ميمري بعد انطلاق قناة الجزيرة بسنة ونصف .

رسائل التهديد

للكولونيل كارمون قدم راسخة في إسرائيل . فهو يتكلم اللغة العربية ، وقد عمل مستشاراً في مكافحة الإرهاب لدى وزيرين أولين ، إسحاق شامير وإسحاق رابين ؛ كما أنه يحظى بمساندات جهات قوية في واشنطن – فلقد انضم إلى السيدة ميراف يورمسير Meyrav Wurmser التي كانت تعمل سابقاً في معهد ميمري وهي الآن تدير قسم الشرق الأدنى في معهد هودسون Hudson المقرب من اللبراليين الجدد الأمريكيين . ويستفيد معهد ميمري ، من سخاء عدد من المانحين ؛ ومن بينهم مؤسسة Lynde ande Harry Bradley ، التي تعتبر أهم مؤسسة تابعة لليمين الأمريكي .

بإنشائه الفئة الغريبة " للصحافي العربي اللبرالي أو التقدمي " أوقع اللبراليين العرب في قبضته . فعلى كل من يريد الانتساب إلى هذه الفئة أن يعلن موقفه الصريح ضد كل نوع من المقاومة المسلحة في العالم العربي ، وخاصة في فلسطين والعراق ، وأن يندد بحماس وحزب الله ، وينتقد ياسر عرفات ، ويدافع عن " الواقعية " ، التي تعني القبول بميزان القوى ، وبالتالي القبول بالهيمنة الخارجية ؛

كما يجب عليه أن يعلن موقفاً مسانداً للمشاريع الأمريكية في الشرق الأدنى ، ويدفع العرب إلى القيام بالنقد الذاتي والتخلي عن " عقلية المؤامرة " .

كما يجب على كل مرشح لحمل شارة " الصحافي اللبرالي أو التقدمي " أن يعلن عداء لا يلين للقومية وللإسلام السياسي ، بل واحتقاراً للثقافة العربية . ويجب أن ينتقد ، أولاً وقبل كل شيء ، رجال الدين ، وبصفة أعم ، المجتمعات المتخلفة عن قياداتها العربية المستنيرة ؛ ويجب عليه أيضاً أن يمجد الحريات الفردية ، لكن من دون إلحاح على الحريات السياسية ، وبالأحرى على السيادة الوطنية . وعند حديثه عن الإصلاح السياسي ، سيتعرض " الصحافي العربي اللبرالي أو التقدمي " أولاً للأنظمة الجمهورية ، وعلى رأسها العراق قبل الاحتلال الأمريكي ، وسوريا أو مصر : لكن مع السكوت التام عن الإصلاح السياسي في المملكة العربية السعودية . وهذا ليس بغريب ما دام أغلب الصحفيين المحبين لمعهد ميمري ، يكتبون تحديداً في الصحافة الممولة من طرف بعض الأمراء أو رجال الأعمال السعوديين [8] .

غالباً ما يتعرض المعهد للطعن بخصوص جودة ـــ وحتى في بعض الأحيان نزاهة ـــ ما يقوم به من ترجمة . وهكذا ، وبعد اعتداءات لندن في السابع من يوليو 2005 ، قام المعهد بترجمة مقاطع من برنامج " أكثر من رأي " الذي تبثه قناة الجزيرة والذي شارك فيه السيد هاني السباعي وهو إسلامي يعيش في لندن . صرح هذا الأخير متحدثاً عن الضحايا : " لا يوجد مصطلح في الفقه الإسلامي لتسمية " المدنيين " . الدكتور كارمي (مشارك آخر في البرنامج) موجود معنا ، وهو متعود على الفقه الإسلامي . يوجد فئات من " المقاتلين " و " غير المقاتلين " . فالإسلام ضد قتل الأبرياء . فحسب الإسلام لا يمكن قتل بريء " .

أما ترجمة معهد ميمري فكانت : " لا يوجد مصطلح " مدني " في القانون الديني الإسلامي . الدكتور كارمي موجود معنا ، وأنا هنا وأعرف القانون الديني . لا وجود لـــ" مدني " بالمعنى الغربي العصري للكلمة . فالناس ينتمون أو لا ينتمون لدار الحرب [9] " .

ويلاحظ هنا إدراج عبارة " دار الحرب " المثيرة للجدل [10] ، والتي لم يستعملها المتدخل . فالمعنى الذي تحمله هذه الإضافة ، وبريطانيا في عزّ محاربة الإرهاب ، بأن كل شيء مباح في دار الحرب .. وتجدر الإشارة إلى أن المعهد قد حذف من ترجمته إدانة السباعي لقتل الأبرياء .

كان الأستاذ حليم بركات من جامعة جورج تاون (نيويورك) بالولايات المتحدة ، بدوره ضحية هذه الأساليب . يقول الأستاذ حليم بأن المقال الذي نشره في جريدة الحياة ، تحت عنوان " هذا الغول الذي خلقته الصهيونية : التدمير الذاتي " قد تمت ترجمته من طرف معهد ميمري تحت عنوان يدعو إلى الكراهية : (لقد فقد اليهود إنسانيتهم) . يقول الأستاذ بركات : وهذا ما لم أقله .. وفي كل مرة كتبت " الصهيونية " يستبدلها المعهد بـــ " يهودي " أو " اليهودية . فهم يريدون إيهام القارئ بأنني لست بصدد نقد سياسة إسرائيل ، وأن ما أقوله هو معاداة للسامية " . وبمجرد ما وضعت هذه الترجمة على الخط في موقع ميمري ، توصل الأستاذ حليم " بـــ " رسائل تهديدية " ، " تقول بعضها بأنه لا يحق لي التدريس في الجامعات " ـــ وهو يدرس لأكثر من ثلاثين سنة ـــ " ولا أن أكون أستاذاً ، وأنه يجب علي مغادرة الولايات المتحدة .. [11] .

في يونيو 2004 أطلق المعهد حملة عنيفة ضد زيارة الشيخ القرضاوي إلى لندن . ولمعرفة الأمور على حقيقتها ، طلب محافظ لندن السيد كين لفينكستون Ken Livingstone دراسة حول الموضوع [12] ، خلص بعدها إلى أن هذه الحملة تندرج " بكل وضوح ضمن موجة من الخوف من الإسلام تهدف إلى منع حوار بين أراء المسلمين التقدميين والغرب ." وأكد كين لفينكستون أن الدراسة شملت " الـــ 140 كتاب التي ألفها الدكتور القرضاوي . وكانت النتائج جد صادمة . فكل الأكاذيب التي تحرف خطب القرضاوي صادرة عن منظمة تدعى ميمري ، وهي تزعم أنها معهد للبحوث يعمل بموضوعية " . وختم ليفنكستون بالقول : " لقد اكتشفنا أن الذي يشرف على هذا المعهد ، هو ضابط سابق في

المخابرات الإسرائيلية ، الموساد . وهو يحرف بشكل منظم الوقائع ، وليس فقط ما يقوله الدكتور القرضاوي ، وإنما ما يقوله كثير من العلماء المسلمين الآخرين . وفي غالب الأحيان يكون التحريف كلياً ؛ وهذا ما دفعني إلى نشر هذا الملف [13] ".

وحتى جدية المعهد يمكن أن تكون مدعاة للشكوك لكثرة ما سجل عليه من أخطاء واقعية . فحسب " خبراء " ميمري ، فإن عبد الكريم أبو النصر سعودي الجنسية ، لمجرد أنه يكتب افتتاحية صحيفة سعودية ، في حين أنه صحافي لبناني معروف [14] . ونفس الأمر بالنسبة لما كتب ، في تحليل طويل حول المملكة العربية السعودية ، بأن ولي العهد عبد الله بن عبد العزيز (الذي صار ملكا في آب/غشت 2005) ينتمي إلى فرع السديري من العائلة الحاكمة ؛ فهذا سيثير استغراب كل من يعرف هذا البلد [15] .

يستقي معهد ميمري فعاليته من التنسيق الوثيق لأنشطته مع الفاعلين الذين ينفذون الحملات الترويجية على الأرض . تشكل لوائح الصحفيين العرب الذين هم محط يمدحه أو محط تشنيعه ، نظاماً للمكافأة أو العقاب : " فالصحافيون العرب اللبراليون أو التقدميون " يتم استدعاءهم إلى مراكز للبحوث صديقة في الولايات المتحدة : فيسهل لهم الحصول على التأشيرات وكذلك الوصول إلى وسائل الإعلام وإلى السلطات الأمريكية . أما بالنسبة للعقوبات المخصصة لمن تصفهم ميمري بـــ " ناشري الكراهية " ، فيمكن أن تشتد منذ أن استشهد كاتب افتتاحية النيويورك تايمز الشهير ، طوماس فريدمان ، بـــ" تقرير " معهد ميمري وبمؤسسه ؛ ثم أشار " على وزارة الخارجية الأمريكية بضرورة نشر تقرير فصلي ، يتضمن أسماء العشر الأوائل من ناشري الكراهية والذين يجدون ذرائع [للإرهاب] أو يبررونه [16] " .

وأيا كان رأي فريدمان ، يجب إثبات أن أعضاء مصالح الاستخبارات الإسرائيلية السابقين أو الحاليين ، هم خير مهندسي " الجسر " الذي يجب بنائه بين العالم العربي والغرب .

الهوامش

1. www.memri.org وأهم أبوابها : مشروع دراسة حول الجهاد و الإرهاب ؛ الولايات المتحدة والشرق الأوسط ؛ إصلاح في العالم العربي والإسلامي ؛ الصراع العربي الإسرائيلي ؛ العلاقات بين العرب ومشروع توثيق حول معاداة السامية.
2. Brian Whitaker, "Selective Memri", The Guardian, Londres, 12 août 2002.
3. Lire Elisa Morena, " les manuels scolaires palestiniens sont-ils antisémites ? Le Monde diplomatique, avril 2001.
4. كانت المنار قد برمجت في اكتوبر 2003 مسلسلاً معاد للسامية ، يعرض بين غيره من المشاهد ، " جريمة طقوسية " ، تأسفت القناة فيما بعد على تقديمها .
5. للإطلاع على مقال أعده معهد ميمري ، يلخص القضية ، يراجع " إغلاق مركز زاي 15 سبتمبر 2003 ، http ://memri.org/bin/french/opner.cgi?page=archives&ID=SR2103
6. Lire Guy Bachor, " La stratégie d'Israël avec l'Europe : montrer que les musulmans sont une menace" Yediot Aharonote, Tel-Aviv, 25 fevrier 2004.
7. www.aljazeera.net/NR/exeres/AOE19F88-076B-4BC9-A27A1A437ADA8FO.htm برنامج "من واشنطن" ، "معهد ميمري وصورة العرب في الغرب" 13 سبتمبر
8. بلال الحسن ، الثقافة والاستسلام ، Riad El-Rayyes, Books, Beyrouth, 2005 يلخص هذا الكتاب بشكل جيد إديولوجية كاتبيه ، غير أن رؤيته تبقى جزئية وغير منصف تجاه بعضهم . ويعاب عليه كذلك التركيز كلية على صحافيي جريدة الحياة دون ذكر على الإطلاق للجريدة السعودية الأخرى : الشرق الأوسط ، الذي يمثل أحسن من غيره الإيديولوجية التي يدينها الكاتب .
9. http://memri.org/bin/french/opner.cgi?page=archives&Area=sd&ID=SP93205
10. تقسم هذه النظرة العام إلى دار السلم ودار الحرب التي لم يسلم أهلها بعد
11. " برنامج من واشنطن " كما ورد في الهامش رقم 7 .
12. مراجعة : www.london.gov.uk/news/docs/qaradawidossier.rtf
13. الجزيرة ، 20 يناير 2005 www.aljazeera.net/channel/archive/archive?archiveId=112565
14. صحيفة " الوطن " (السعودية) 13 ديسمبر 2004 .

15. معهد ميمري : " السعودية : تنظيم الأوليغارشية الملكية " 12 سبتمبر 2002 . ينتمـــي إلى السوديريين ، الملك الراحل فهد خاصة ، والأمير سلطان ، والأمير نايف الخ .. وهم بالتحديد معارضين لعبد الله .

16. Thomas L .Friedman، "Giving the hatemongers no place to hide", The NewYork Times, 22 July 2005.